صيحة المرأة المسلمة

العدد : ٢١٧ الموافق في ذو القعدة ١٤٢٠ هجري ٣ / ٢٠٠٠ ميلادي

عنوان المقال : الطهو البشري –٧–	بقلم : سها عبد الحميد أحمد

علمتنا يوكابد [١] .. أم الفؤاد الفارغ

أن لكل أمٍّ الخيار في أن يكون فلذة كبدها من ورثة موسى

يرث القيم الزكية ويقضي على أحد الفراعنة

فلنمض معاً على يقينٍ بأن رسالتنا ناجحة

حتى ولو كانت أيدينا على الجمر قابضة

فمائة آسية كان قدرهن أحد الفراعنة

دَوَّنت قصصهن في سجلات التاريخ عِبراً مشرفة

❁ ❁ ❁

ونمضي سيدتي المرأة لنبْحر في عطاء حَنَّة [٢]

فمعجزة محمد ﷺ أخبرتنا عن غزارة إيمانها وما يكمن فيه من روعة

لنتعلم من يقينها أن أنساب الدين هي الأنساب القيِّمة

وأن خلاص عالمنا الإسلامي الأول يقع على عاتق مهمة التربية

وبلَّغتنا تجربتها في الدعوة .. أن عطاء الأمهات هو الصانع للأمة

ولو أن قاسم أمين وكل من نادى بتحرير المرأة

أدرك معنى " **والليل إذا يغشى**

والنهار إذا تجلى "

لأيقن كيف يكمّل كلٌّ منهما الآخر .. الذكر والأنثى

فالمرأة في شرع الله تقطن في أعماق حصون المساواة المشرفة

ومم تتحرر ؟ إنها بكمال الإسلام لا يمكن أن تكون أبداً مستعبَدة

❁ ❁ ❁

ها هي حنة تناجي الله مخلصة

الناس في زمانها يبتغون من أبنائهم أن يكونوا للعين قرة

وهبت ذاتها لله تماماً بنية صافية

وأرادت لطهوها البشري أن يكون حيثية مميزة
وأي أمٍ تخلص النية
وتنذر للهِ ما أعطاها من الذرية
لا بد أن يلتقي أولادها في نسب خير البرية

❁ ❁ ❁

حدثتنا معجزة القرآن .. عن زوجة عمران الورعة التقية
لم تكن حنة .. على نذرها مجبرة
لكن الله وهبها عطاء الحكمة السخية
والقادر على منتهى العطاء إلى نفسه تعود العطية
وتميزت بنذرها لا كما اعتاد الناس من حولها
ومن شغاف أمومتها نادت ربَّها .. أنها نذرت له ما استقر في رحمها
وبمصداقية اليقين والتوكل توسَّلت له أن يتكفل دُرِّيتها
ولم تنتظر تكليف مولودها بعد أن يبلغ السنوات الراشدة
بل تميزت في عطائها ونذرته منذ اللحظة الأولى للميلاد عطية محررة[٣]

❁ ❁ ❁

ألفت البشرية أن نذراً كهذا لا بد أن يكون ذكراً فهو صاحب القضية
وهو المؤهل السبَّاق لخدمة بيوت الله المقدسة
ونضج طهو الجنين المنتظر في رحم حنة الآمنة
وجاءت المولودة أنثى .. وهمس التحسر في نفس الوالدة همسة صامتة
تلك الحسرة تمس قلوب ألوفٍ من النساء مؤلفة
فقال لها خالقها وخالق ما في رحمها : أردت ذكراً لخدمة بيتي يا حنة
وأردتها أنثى لأمنحها شرفاً أعظم بكثير من تلك المهمة ..
أنثى تواصل إنجاب الذرية المصطفاة في مسيرة العقيدة الصالحة
لذلك قال لها ربُّها " ليس الذكر كالأنثى " يا حنة

❁ ❁ ❁

أي أن الذكر الذي تمنَّيتِه مخلصاً للطاعة
لن يصل إلى مرتبة الأنثى التي قدَّرتُها في رحمك مثلاً للعبادة
ونأتي نحن لنفهَم الفَهْم السطحي لهذا المعنى ويبلغ في ذواتنا القمة
لنجادل الخالقَ في عطائه
ونتمَّرد على قضائه
والأدهى والأمر أننا نستشهد على عصيانه
بكنوز المبادىء الخالصة من قرآنه

❁ ❁ ❁

يتجسد هذا العصيان في وجهٍ عابس مما أنبتت أرضه التي زرَع
وفي تقديم آيات العزاء بعلمٍ أو جهلٍ لصاحبة الرحم الذي وضع .
والسبق الإعلامي في الثناء والمدح والتهاني
لبطولة سيدة الرحم الذي أنجب ما قدرُ الله قد صنع
وهذا الحزن الخفي من الأنثى ليس من الأدب مع حكمة اختيار الله لهبته ما يشاء
بل هو تمرد وجحود .. وهل الإنسان أعلم من خالقه بماهية العطاء ؟
ونراه يجد لضعف إيمانه الأعذار
مع أنه دائم التلاوة لسور القرآن الطوال والقصار
ويردد : إنه الخوف من المسؤولية في تربية بنات حواء
والأولى لمن وجد في نفسه هذا الشعور أن يعيد فهم سورة النور والنساء

❁ ❁ ❁

وكالببغاوات نردد ما قالته الجاهلات من الجدات
عندما كن يعشن في زمن الكبَوَات
وحُرِمن من علوم الدين والدنيا وشُغلن بالتَّفاهات
وأُجْبرت الإناث على قضاء حياتهن في ألوان متعددة من الغيبوبات
وأشهَدُوا على كبواتهن سُخْف الأمثال والعبادات
ليرددن سواءً كنَّ جادات أو هازلات

" إنها إن سلمت من العار تحضر العدو للدار " !!!

وعندما رفع عالمنا الإسلامي أمثال تلك الشعارات

اهتزَّت من جذورها المجتمعات

وحصدت المرأة في عوالمنا الويلات

والمسؤول الأول عن هذه الجريمة الفكرية من استسلم لسخف هذه المفاهيم من السيدات

❁ ❁ ❁

ومما زاد الطين بلة

تصور الجهال من الرجال أنهم جنس الله المختار

فحتى لو ارتكبوا كل المحظورات فهم من الصفوة

وعندما يختل حامل الميزان تضيع الكفتان في مهب ريح المفاهيم المنحطَّة

وعلى صور الاستعباد الكثيرة للمرأة

ألفت العوالم أكل حقوقها بنهم ، وأخذ كل واحد منا يُبعد عن نفسه التُّهم

أما آن الأوان لنستأصل من أعماقنا هذه القيم

حتى لا يرثها الأبناء والأحفاد

ويغدون بهذا الميراث مثلنا أمة رفع عنها القلم

❁ ❁ ❁

أدركت حنة أنها ليست أصلاً في الكون إنما هي مستخلَفة

ولم تبحث لنزواتها ورغباتها عن نواميس مناسبة

ولم تبال بما ألفته المجتمعات من طقوس بالية

قدَرُ الله وقضاؤه هو بالنسبة إليها المِسطرة

خرجت عن المألوف بأن مهام الدعوة للرجال مخصصة

وأرسلت مولودتها معهم كامرأة واشترطت عليها أن تكون لله طائعة

وبحثت عن اسم يليق معناه بها فلم تجد أروع من معنى العابدة

ثم أاعاذتها وذريَّتَها بالله الخالق الرحيم

ممن يغيظه الإصرار على الدعوة .. الشيطان الرجيم

استبدلت كفالتها البشرية بكفالة أسمى وأطهر .. الرعاية الإلهية
لتدخل هذه المولودة حدثاً فريداً في القصة النبوية

❁ ❁ ❁

اجتمع كبار القوم كل يرغب في مولودة حنة
ولأن الله أراد لها مرادَه اختلفوا عليها واستهموا بالقرعة
وككل المجتمعات عند ميلاد كل جديد قيم تثير الضجة
طافت أقلامهم وغرق قلم زكريا النبي ذي العبادة الزكية
فالله الباريء المصور العليم
أراد بهذا الاختيار أن يجبر خاطر إشاع [٤] العقيم
وكم نخطىء نحن المسلمين كبشر
رغم سرد قرآننا لتلك القصص نضع أنفسنا بمرتبة مناظرة القدر

❁ ❁ ❁

أخذ زكريا ابنة حنة
وأحسَّ بتكليف الله له ومغزى هذه المهمة
ليخبئها بالمحراب
ويقفل عليها الأبواب
وتتابع حنة ومولودتها أحداث الرواية التي قصَّها لنا في كتابه ربُّ الأرباب
ليستشعر مغزاها أولو الألباب
ولنوقن أنَّ استسلامنا لأقدار الله عن حب عين الحكمة والصواب
فلكل قدر في حياة كل منا حكمة بالغة
حتى ولو خَفيت على مداركنا كل الأسباب

الهوامش :

(١) يوكابد : أم النبي موسى وزوجة عمران (رجل عبراني أنجبت منه هارون ومريم وموسى النبي عليهم السلام) .

(٢) حنَّة : أم السيدة مريم العذراء وجدة عيسى عليهما السلام .

(٣) اعتاد الناس في ذاك الزمان أن ينذروا الذكور من أولادهم لخدمة بيت المقدس ، ويكون لهم القرار عند بلوغهم الرشد في تنفيذ النذر أو قبضه .

(٤) إشاع : زوجة النبي زكريا عليه السلام ووالدة النبي يحيى عليه السلام ، وهي امرأة عقيم لكن الله استجاب لزكريا وقدر لها أن تحمل وتضع .